بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان
العدد ٨ (ربيع وصيف ١٣٩٢ هـ. ش/ ١٤٣٤ هـ)، ص ٨١ ـ ٩٤

القيم الأخلاقية للشَّنْفَرى في لامية العرب[١]

سمية كاظمي نجف‌آبادي❖
جعفر دلشاد❖❖

الملخص

يتناول البحث القيمَ التي تحلّى بها الشنفرى، محاولاً تبيين نفسية الشاعر من خلال دراسة أبياته الأخلاقية دراسة وصفية ـ تحليلية، وتقديم صورة موجزة عن معاناته النفسية، متأثراً بحديث مشهور ينبيء عن مدى أهمية شعره ومدى التزام الشاعر بالشيم الأخلاقية؛ والحديث: «علّموا أولادكم لامية العرب، فإنها تعلّمهم مكارم الأخلاق»، ساعياً إلى معرفة مدى صحة الحديث بدراسة الأخلاق السامية الكامنة في شعره، معوّلاً على نهج خاص في تقسيم أشعار الشنفرى الأخلاقية.

الكلمات الرئيسة: الصعلوك، الشنفرى، لامية العرب، القيم الأخلاقية.

مقدمة

لا غرو أنّ الشاعر الجاهلي، ولو في فترة وجيزة من عمره، وفي أبيات قليلة، كان يستمع إلى نداء روحه وحقيقة وجوده وينشد أبياتاً متسمة بطابع الحكمة والمثل الخلقية، وذلك قبل أن يهبه الإسلام فكرة سليمة عن القيم الصحيحة، ولكن من الغريب أن نجد شاعراً صعلوكاً مثل الشنفرى يحكي عن الفضائل في أكثر من بيت في لاميته، علّه أدرك وفقاً لمنطقه البدائي وما كان شائعاً في مجتمعه القبلي أنّه لن يتحرّر من العبودية إلا إذا أظهر تفوّقاً على من قام بإيذائه ونبذه من القبيلة، والتفوّق هذا، لن يتحقّق سوى عن طريق ما يعتبره المجتمع الجاهلي قيمة، سواء كانت أخلاقية أم غير أخلاقية، فقد خيّمت عليه هذه النزعة حتى أصبح لا يرى في الحياة أمراً

---

١. تاريخ التسلم: ١٣٨٧/٢/٢٥هـ. ش (٢٠٠٨/٥/١٤م)؛ تاريخ القبول: ١٣٨٨/٤/٩هـ. ش (٢٠٠٩/٦/٣٠م).
❖ طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان. Email: skazemin@yahoo.com
❖❖ الأستاذ المساعد الفقيد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان.

Archive of SID
www.SID.ir

إلا يعارضه ويتمرّد عليه ليعلن صريحاً أنّه سيد نفسه وابن حريته، لا أحد يتفوّق عليه ويكبّله بقيود تافهة، لكنّ القيود لم تفارقه بل تركت في نفس الشاعر أثراً بالغاً يحسّ به القارئ من خلال أبياته، ومن خلال هذه الأزمة النفسية طفحت حقيقة مشاعره تجاه قبيلته، وهذا ما يساعدنا على معرفة نفسية الشاعر وما سمّيناه فضيلة في لامية العرب.

الشخصية العربية

معرفة العرب ونوعية معيشتهم تساعدنا في تقديم صورة جليّة عن حياة الصعاليك وكما نعرف أنّ لجو الإقليم أثراً طبيعياً قوياً في حياة أهله، فهو الذي يُعيّن لهم سنن معاشهم ونظام اجتماعهم، ويكوِّن الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم، أمّا العرب فكان إلفهم حياة الظعن والتجوال وتوزع همهم بين الجدال والقتال، سبباً في غلبة الحرية والعصبية والوحشية عليهم، فلم تكن لهم مدنية اجتماعية ولا حكومة سياسية ولا أنظمة عسكرية ولا فلسفة دينية.

للعربي شخصية قوية تظهر بأنانيته، ونزوعه إلى الحرية والاستقلال، وحبه الخير لنفسه دون غيره، والاستئثار بالجاه والذكر الحسن وحميد الصفات وتظهر في جَلَده وصبره على الفقر والجوع والظمأ ومغالبة الطبيعة في صحرائه العاتية (ينظر: الزيّات، ١٩٩٣م، ص١١، ١٩).

هذه لمحة من شخصية العربي وإن كان الأمر متعلقاً بجماعة خاصة باسم الصعاليك فيبلغ بعض ما ذُكر من هذه الصفات إلى غايتها لأسباب عدة.

أمّا لفظ الصعلوك لغة: **«فالصُّعلُوك: الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري: ولا اعتماد»** (ابن منظور، ١٩٨٨م، «ص‌ع‌ل‌ك»).

والشعراء الصعاليك في عرف التاريخ الأدبي، **«جماعة من شُذَّاذ العرب كانوا يُغيرون على البدو والحضر، فيسرعون في النهب والتخريب ثم يفرّون دون أن يلحقهم أحدٌ»** (البستاني، ١٤٢٣هـ.ق، ص٢). هم أولئك الذين حاولوا فعلاً أن يتحرّروا من سلطان قبائلهم، وخُلِعوا منها راضين أو كارهين. وقد ألفنا في دراسة شعرهم أن نراه ممثلاً لانطلاق ذاتية الشاعر، مسجلاً صدى نضاله عن هذه الذاتية، ومظهر تحررٍ من القيود التي تكبلها. وفاتنا ـ أو فات كثيراً منا ـ أن نقرأ ما يكمن وراء سطور حياتهم الغامضة من ألم البُعد عن الأهل والعشيرة والهيام على وجوههم في الفلوات وأن نحسّ تلك المرارة التي تفيض بها مشاعرهم، وبها أصبح شعرهم يعكس جمرة ألم خافية في نفوسهم؛ أحراراً فيما يبدو، مشرّدين غرباء في الواقع.

وقد حاولوا نسيان الأحاسيس الرقيقة والعيش معتمدين على القوّة وحبّ المغامرة مستهزئين بالحياة ونظامها القاسي ـ في رأيهم ـ متمردين على ما يحول دون حاجاتهم، وفي نفس الوقت لا يتركهم الشعور بالتمزق والتشرد والضياع، فقد ترك الخلع في وجدانهم من أثر عميق نافذ سجلته أشعارهم المشحونة بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية وقسوة الحرمان من أنس الأهل والدار (ينظر: بنت الشاطئ، ١٩٦١م، ص٤٣).

ومن الممكن أن نميز فيهم ثلاث مجموعات:

١. مجموعة من الخلعاء الذين نبذتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم مثل حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية (ينظر: حرب، ١٩٩٣م، ص١٠). **«ويقصد بالخليع أو المخلوع الذي كان يسيء إلى القبيلة بسلوكه العامّ أو بسلوكه الشخصي، كأن يقتل شخصاً من قوم بينهم وبين قوم القاتل حِلف أو صُلح، أو يخرج على إجماع القبيلة، أو يصبح سفيهاً مُبذِّراً لا أمل بإصلاحه»** (فرّوخ، ١٩٦٨م، ص٧١).

وبما أنّ القبيلة لا تبيح لأهله الخروج على العرف والتقاليد، فإذا سلك الفرد سلوكاً شائناً يسيء إلى سمعة القبيلة، ويجلب عليها العار، نبذته القبيلة وأخرجته منها، فيعتبر خليع قبيلته، وعندئذ يلجأ إلى قبيلة أخرى، فيعتبر جاراً لها أو مولى من مواليها، أو يلجأ

Archive of SID

www.SID.ir

إلى الصحراء، ويعيش على قائم سيفه وحدّ نصله، ويصبح صعلوكاً من صعاليك العرب أو مغامراً ليتخلص من شقاء الفقر وذُل الفاقة، إذ كان أبيّ النفس ذا أنفة (سالم، ١٩٧١م، ص٤٣٥).

٢. «**مجموعة من أبناء الحبشيات السّود ممن نبذهم آباؤهم ولم ينسبوهم إليهم مثل السليك بن السلكة، وتأبط شراً، والشنفرى، وكانوا يشركون أمهاتهم في سوادهم فسمّوا باسم أغربة العرب**» (حرب، ١٩٩٣م، ص١٠).

٣. «**مجموعة اتّخذت الصعلكة حرفةً، وقد تكون من أفراد مثل عروة بن الورد العبسي، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل وفهم**» (حرب، ١٩٩٣م، ص١٠)

بعض الخصائص العامة لهؤلاء الصعاليك

١. الفقر

لعلّ أول ما يطالعنا في حياة هؤلاء الصعاليك جميعاً فقرهم وصيحات الجوع الّتي ردّدوها في حياتهم وصوّروها في أشعارهم. وبما أنّ الصعلوك يجد نفسه وحيداً في مواجهة العالم، محروماً من دعم القبيلة فليس له من يردّ عنه غائلة الجوع، فالجوع حليف ملازم للصعاليك، وجزء من أجزاء حياتهم.

أمّا ردّة فعلهم على الجوع فقد اختلفت إذ منهم من استكان، وطلب الإحسان، في حين لجأ فريق آخر إلى حدّ السيف ليضع حدّاً له.

٢. التمرد

قام هؤلاء الصعاليك بنبذ قبائلهم كما نبذتهم، وفضلوا حياة التشرد والتصعلك على الخضوع لقانونها الجائر، وحياة الوحدة المتألقة على الحياة الجماعة القاتمة فتمردّوا وثاروا على قانون القبيلة، على نمط حياتها، على مُثُلها، عاداتها وتقاليدها، واعتمدوا على أنفسهم تاركين خلفهم سجلاً من الأحداث والمغامرات، حاملين يأساً فتّاكاً في صدورهم، يأساً أوقد فيهم نيران التمرد أكثر فأكثر.

٣. اللجوء إلى السلاح

فريق من الصعاليك اعتمد على السلاح في سبيل تحصيل رزقهم عنوة، غير منتظرين إحسان المحسنين ولا عطايا الموسرين كما نرى تأكيد الشنفرى في لاميته على أهمية السلاح واللجوء إليه فقال:

وإنّي كفاني فقدَ من ليس جازياً	**بحُسنى ولا في قُربه مُتعلَّلُ**
ثلاثةُ أصحاب: فُؤادٌ مُشيَّعٌ	**وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عَيطَلُ**

٤. التمتّع بقوى خاصة

عاش الصعلوك وحيداً شريداً متمرداً، بعيداً عن القبيلة ودعمها، كارهاً للضيم، فأشهر سيفه على وجه العدو وغير العدو وبدأ يقاتل ويقتل، فكثر أعداؤه حتى لم يعد يستطيع أن ينام مطمئناً، بل كان على حذر دائماً، ولذلك كان لابدّ له من التمتّع بقوى خاصة تساعده في حربه، فاشتهر أكثرهم بشدة العَدو لكي تسمح لهم بالهرب ممن يتعقّبهم.

وإلى جانب شدة العَدو وسعة الحيلة عرف الصعاليك بأنهم أعرف الناس بدروب الجزيرة حتى ضرب فيهم المثل فقيل الصعاليك أهدى من القطا (ينظر: حرب، ١٩٩٣م، ص ١٠ـ١٣ و١٩).

Archive of SID

www.SID.ir

أخلاق الصعاليك ومذهبهم

١. يتبيّن من دراسة شعر الصعاليك أنّهم كانوا شجعاناً مغامرين غير مبالين بالموت.

٢. كانوا يدعون إلى نوع من الاشتراكية القسرية ؛ لأنهم يؤثرون الموت على حياة الفقر والحرمان (ينظر: الحوفي، ١٩٦٢م، ص ٣٠٠ و ٣٠٤).

خصائص أدبهم

- في الحقيقة إنّ شعرهم يعكس صورة من واقع حياتهم، نفسياتهم وأعمالهم، وبذلك يصوّر ضرباً من الأخلاق والنزعات الخاصة.
- يتميز شعرهم بوحدة الموضوع، فليس فيه مقدمات تمهيدية من غزل وبكاء أطلال، ووصف لرحيل أو رواحل أو استطراد إلى موضوع آخر.
- أكثر شعرهم مقطعات لا قصائد، ولعل السبب يعود إلى تأثير حياتهم الخاصة في أشعارهم.
- ليس في شعرهم غزل، وكيف يتغزّل من يقضي ليله ونهاره مترصداً.
- يكثرون من توجيه الخطاب في شعرهم إلى زوجاتهم (المصدر نفسه، ص٣٠٧).

الشنفرى الشاعر الصّعلوك

هو ثابت بن أوس الأزدي، لا يتفق اللغويون على معنى لفظ الشنفرى، وإن فسّره أكثرهم «بالعظيم الشفتين». أما من كتبوا تراجم الشعراء، فقد كادوا يجمعون على أن الشنفرى لقب لهذا الشاعر، لُقّب به لعظم شفتيه، أو لحدَّته ؛ واسمه ثابت بن أوس الأزدي، من أهل اليمن. حتى قام صاحب *خزانة الأدب* فانتقد هذا الزعم (ينظر: البستاني، ١٩٨٦م، ص٥٠).

أصبح الشنفرى صعلوكاً وليس بين أيدينا ما يدلّنا على سبب نزوعه إلى الصعلكة، فقيل إنه نشأ في قومه الأزد ثم أغاظوه فهجرهم. وقيل ولد في بني سلامان أو أنهم سبوه صغيراً فنشأ بينهم حتى عرف حقيقة أمره فهرب مضمراً لهم الشر (ينظر: البستاني، د.ت، ص ٨٧). كان من أشهر عدّائي العرب حتى ضُرب المثل بعدوه، فقيل: «أعدى من الشنفرى».

من أشهر قصائده لاميته التي لم تسلم من الشكّ، فنسبها بعضهم إلى خلف الأحمر، مجرّحين الحديث القائل: «**علّموا أولادكم لامية العرب؛ فإنها تعلّمهم مكارم الأخلاق**» (ينظر: البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ٤)،

> **مهما يكن من أمر فإذا بلغت مقدرة الرجل على التقليد هذه الدرجة، فسواءٌ أكان ناظم اللامية الشنفرى أم خلف الأحمر، فهي جاهلية العواطف، جاهلية القالب، جاهلية التعبير، تُصوّر أصدق تصويرٍ عادات ذاك العصر الخشنة الموافقة للمحيط الذي عاش فيه الشنفرى»** (البستاني، ١٩٨٦م، ص ٥٥).

معنى الخلق

كلمة الخُلق قد وردت مرّتين في *القرآن الكريم* وذكر الرّاغب الأصفهاني معلّقاً عليها: «**أنّ الخَلقَ والخُلقَ في الأصل واحدٌ كالشَّرب والشُّرب لكن خُصَّ الخَلقُ بالهيئات والأشكال والصُّور المدرَكة بالبصر وخُصَّ الخُلُقُ بالقوى والسّجايا المدرَكة بالبصيرة**» (الأصفهاني، ١٤٢٤هـ، ص٢٩٧). وقد تكرّرت الأحاديث في مدح الخُلق في غير موضع كقول النبيﷺ: «**بُعِثتُ لِأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق**» (ينظر: ابن منظور، ١٩٨٨م، «خ ل ق»).

Archive of SID

www.SID.ir

يبدو من كلامه، أنّ المجتمع العربي في العصر الجاهلي كان يحظى ببعض من القيم الأخلاقية. أمّا الخُلق في كلام أحد علماء الأخلاق الشيخ محمد مهدي النراقي، فهو عبارة عن: **«ملكة نفسية لصدور الأفعال بسهولة من دون احتياج إلى فكر ورويّة»** (النراقي، ١٩٨٨م، ص ٥٥).

«إنّ دراسة الأخلاق وتحديد حقيقتها وقيمتها لدى الفرد والجماعة، يرتبط بشكل أساس بالعقيدة والفلسفة العامة للحياة، وللبيئة والوراثة والتربية والظروف الفردية أثر لا يمكن تجاهله في تكوين الأخلاق وتوجيه الملكات النفسية ودرجة رسوخها في أعماق الإنسان» (مؤسسة البلاغ، ١٩٩٢م، ص ٥)، وليس الشنفرى مستثنى عن هذا الأصل؛ إذ هو عربيّ عاش متشرداً لأسباب قد سبق ذكرها فلابدّ أن تؤثّر حياة التشرد في شخصيته وأخلاقه وتعارض فطرته الصافية بعض الأحيان.

بعد دراسة لاميّة الشنفرى وجدنا حياته قائمة على أساس استغنائه الذاتي فهو أبي النفس، ذو أنفة وإباء، لا يقبل الذلّ والهوان، يكره الخضوع لقوانين القبيلة الصارمة، فظهر هذا التمرد في كلّ مظهر من مظاهر حياته حتى أصبح متمرّداً على المقتضيات الطبيعية مثل الأكل والشرب والنوم فوضعنا غنى النفس في مقدّمة ما اتصف به في شعره من الأخلاق السامية.

غنى النفس

عزّة النفس كانت ميزة قد رسخت في نفس العربي وفقاً لما رسمت له البيئة، وظلّ العربي متمسكاً بها ويعتنقها كعقيدة دينية، وقد أشار جرجي زيدان إلى هذه الصّفة قائلاً: **«كان العربي في الجاهلية صاحب أنفة وشرف يأبى الضيم ويغار على العرض، إذا قال فَعَل، وإذا وعد وفى، وإذا اضطر إلى رهن في أمر عظيم رهن قوسه... ولا قيمة للقوس بنفسها، ولكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم بما رهنها له مهما كلّفه»** (زيدان، ١٩٨٢م، ج١، ص١٢٦).

وما وصلنا عن النبي والأئمة الأطهار من الأخبار بشأن عزّة النفس وقيمتها الأخلاقية والاجتماعية كثير وهذا يؤكّد مدى أهميتها في الإسلام، منه: عن النبي : **«ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكنّ الغنى غنى النفس»**. وسئل سيد الأحرار الحسين بن على : **«فما عزّ المرء؟ قال استغناؤه عن الناس»** (الموسوي اللاري، ١٩٨٩م، ص٢٤٦). وقال الإمام الباقر في ذمّ السؤال من غير حاجة: **«طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعزّ ومذهبة للحياء، واليأس ممّا في أيدي الناس عزّ المؤمن، والطمع هو الفقر الحاضر»** (الكاشاني، ١٩٨٩م، ص ٢٧٠).

إذن عرفنا من خلال ما أشرنا إليه أنّ أغنى الرجال من عرف قدر نفسه ولم يضيِّعه بالسؤال أو بالأحرى كثرة السؤال؛ لأنّ الحاجة إلى الآخرين تجلب الذلّة وتضيِّع الشرف الإنساني.

ولعلّ الشنفرى عرف فطرياً قيمة نفسه ولأنه لقي من مجتمعه القبلي ما وضع قدره حاول أن يعوِّض عما فاته بمجموعة من الخصال الحميدة، منها غنى النفس المذكورة في هذه الأبيات:

وفي الأرض منـأى للكـريم عـن الأذى وفيهـا لمـن خـاف القِلـى متعـزَّل[1]

(البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ٥).

الكريم يرفض الذُّل والأذى ويُفضّل اعتزال الناس على احتمال أذيَّتهم وحقدهم.

لَعَمـرك مـا في الأرض ضـيقٌ علـى امـرئ سـرى راغبـاً أو راهبـاً فهـو يعقـل

(المصدر نفسه، ص ٥).

١. المنأى: المنزل البعيد. القلى: البغض. المتعزّل: مكان الانفراد.

Archive of SID

www.SID.ir

وهذا تأييد للبيت السابق : العاقل لا يحتمل الأذى.

يعتقد الشاعر أنّ الكريم والعاقل لا يكسر شوكته بالعيش مع الذين يؤذونه. فكأنّه أراد اتصاف نفسه بهاتين الصفتين وأن يبرِّر سبب رحيله من بين قومه.

هم الأهلُ لا مستودع السرّ ذائع   لديهم ولا الجاني بما جَرّ يُخذَل
وكلٌّ أبيّ باسل غيرَ أنني   إذا عرضت أولي الطرائد أبسل

(المصدر نفسه، ص٥)

فهو يعتبر الإباء من الذّل والظّلم ميزةً تخصُّ الوحوش دون قبيلته، ولهذا يفضّل العيش معها على البقاء مع قبيلته. فكان الإباء والامتناع من الذلّ في غاية الأهمية للشاعر حتّى وصف الوحوش بها قائلاً : وكُلٌّ أبيٌّ.

وإن مُدّت الأيدي إلى الزّاد لم أكن   بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

(البستاني، ۱٤۲۳هـ، ص٥)

وهو لا يَمدُّ اليد إلى الطَّعام قبل بدء الآخرين بالأكل، مع أنَّ الطعام من الضّروريات في حياة الصعاليك لما يعانون من الجوع، هذا لأنَّه يريد الحفاظ على كرامته بضبط النفس عما يضرّ بسمعة الرجل ويجلب لها العيب والنقص.

وما ذاك إلاّ بسطةٌ عن تفضّل   عليهم وكان الأفضل المتفضّل[1]

(المصدر نفسه، ص ٦)

يرى الشاعر أن القناعة وعدم الجشع وإيثار الآخرين على نفسه ليس إلا من سعة فضله واتصافه بصفات محمودة وهو الأفضل دون سواه.

أُديمُ مِطالَ الجوع حتى أُميته   وأضرب عنه الذّكر صفحاً فأذهَلُ
وأستفُّ تُرب الأرض كي لا يرى له   عليَّ من الطّولِ امرُؤٌ مُتَطَوِّلُ[2]

(المصدر نفسه، ص ۷)

يُفضّل أن يستفَّ تراب الأرض على أن يمنَّ أحدٌ عليه بلقمة. إذن يؤثر الشاعر أكل التراب أو بالأحرى الموت على أن يمدَّ يده أمام متكبِّرٍ يدوس كرامته بمنّه ويستعبده، فهو لا يبيع حريّته بثمن بخس ولا يكدِّر صفو خاطره باحتمال المنِّ والأذى من البخيل المتكبر.

ولولا اجتنابُ الذّأم لم يُلفَ مَشربٌ   يُعاش به إلا لديَّ و مَأكَلُ[3]

(المصدر نفسه، ص ۷)

بإمكانه الحصول على ما يريد بطرق غير كريمة، لكنّه لا يقبل العيب والذّم. فهو يتحمَّل العطش والجوع ليس لأنَّه غير قادر على تأمين معاشه بل لأنَّه يكره أن يذمّه الناس ويعيّروه بصفة ذمّ.

فكلُّ ما يقوله الشاعر عن تحمُّل الجوع والعطش يمكن اعتباره فضيلة أخلاقية؛ لأنَّه كما يقول قادر على اكتساب أصناف المآكل والمشارب، لكنَّه يأبى أن يكسر شوكته بالاعتماد على القوَّة خوفاً من النقص والذّم.

---

۱. البسطة : السّعة. التفضّل : الإحسان.

۲. أذهل : أنسى. الطَّول : الفضل والامتنان. استفّ : أخذه غير ملتوت ولا معجون.

۳. الذأم : العيب، اللوم، الذمّ.

www.SID.ir

ولـــكنَّ نفـــساً مُـــرَّةً لا تُقيـــم بـــي علـــى الـــضَّيم إلاّ ريثمـــا أتَحـــوَّلُ[١]

(البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ٧)

يصرّح الشاعر بأنّه أبيُّ النفس لا يبقى في موضع الذُلِّ والهوان.

فـــلا جَـــزِعٌ مـــن خَلّـــةٍ مُتكـــشِّفٌ ولامَـــرِحٌ تحـــت الغنـــى أتَخيَّـــلُ[٢]

(المصدر نفسه، ص ١٠)

يريد الشاعر أن يقول إنني لا أستسلم للفقر مُظهراً ضعفي، ولا أنقاد للغنى أفرح به وأختال، فهو لا يخاف الفقر ولا يظهر حاجته للناس، ولا يغرُّه الغنى عندما يدركه.

يبدو أنّ البيت يحمل نداء اعتراض على قوم الشاعر بأنّهم لا يتحمَّلون الفقر مثلما يفعله ويختالون عند الغنى، وهكذا أبدى تفوُّقه عليهم.

ولا تزدهـــي الأجهـــالُ حِلمـــي ولا أُرى سَـــؤولاً بأعقـــاب الأقاويـــل أُنمَـــلُ[٣]

(المصدر نفسه، ص ١٠)

فهو حليم لا تستخفُّه الأهواء ولا تغلب عقله، متعفِّف عن سؤال الناس، بعيد عن النميمة وإثارة الفتن بين الناس.

القناعة وعدم الجشع

القناعة ثروةٌ لا تنفد، وقد قال العلاّمة المحدّث الفيض الكاشاني في فضل القناعة:

اعلم أن الفقر محمود، ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الكفاف ويقصر الأمل، فإن تشوّف إلى الكثرة وطول الأمل فاته عزّ القناعة وتدنّس لا محالة بالطمع وذلّ الحرص وقلة القناعة وجرّه الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروّات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة (الكاشاني، ١٩٨٩م، ص١١٧).

هذا كلام عالم أخلاق عاش بعد ظهور الإسلام بعدما تتلمذ على أكبر معلم أخلاق وهو النبي ﷺ، لكنّ الشنفرى أدرك في حكمته الفطرية أنّ الفقر محمود مع القناعة، وهو وإن كان يعاني من الجوع فلا بدَّ له أن يتمسَّك بشيء كالقناعة ليتفوَّق على الآخرين في ابتعاده عن الذُّل ويحافظ على عزَّة نفسه؛ لأنّ الجوع وحده لا يجلب العزَّة للفقير.

وإن مُـدَّتِ الأيـدي إلى الـزَّاد لَـم أكُـن بأعجلِـهم إذ أجـشعُ القـوم أعجَـلُ

(البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ٥)

يفتخر الشاعر في هذا البيت بقناعته وعدم حرصه على الطعام، فهو ليس أسرعهم للحصول عليه، فلو تعجل في الإقبال على الطعام، لكان في تعجله عليه من دون الآخرين خضوع للحاجة وارتهان للعبودية.

وأغـدو علـى القُـوت الزَّهيـد كمـا غـدا أزَلُّ تهـــاداه التَّنـــائفُ أطحَـــلُ[٤]

(المصدر نفسه، ص ٧)

---

١. المرّة: الأبيّة. ريثما: قدرما.

٢. الخلّة: الفقر. متكشف: الذي يظهر فقره وحاجته للناس، المرح: البطر. المتخيّل: المختال.

٣. تزدهي: تستخفّ. أنمل: أنمّ.

٤. الأزلُّ: الخفيف، صفة الذئب المحذوف. التنائف: ج التنوفة: المفازة والأرض القفار. الأطحل: الذي لونه كلون الطّحال.

Archive of SID

www.SID.ir

في البيت إشارة خفيَّةٌ إلى قناعة الشاعر بالقليل من الطعام، فهو يكتفي بالقوت الزهيد؛ لأن القوت ليس غاية الحياة، وبذلك يخالف الآخرين ممن لا أمل لهم إلا في ملء جوفهم.

الصّبر

للصَّبر شأن رفيع ومكانة سامية في الإسلام، فالله ﷻ وصّى الإنسان بالصّبر في أكثر من آية وجعل للصابرين مقاماً محموداً عنده، فالصّبر جزء من الإسلام لا ينفصل عنه، كما قال النبي ﷺ: «**الصّبر نصف الإيمان؛ وفي كلام آخر قال ﷺ: الصّبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له**» (الكاشاني، ۱۹۸۹م، ص۱٤۳).

لكن في حياة الصعاليك نظراً لظروف عيشهم فقد يكون التصبر خاصة على الجوع من طباع الصعلوك، إلا أن الشنفرى يفخر به في باب السّعي إلى الانتصار به على الطبيعة وعلى الكون.

أُديــمُ مِطــالَ الجــوع حتــى أُميتــه　　　وأضـرب عنــه الــذّكر صـفحاً فأذهَـلُ

(المصدر نفسه، ص ۷)

فهو لا يدَع للجوع مجالاً فيشاغل الجوع ويعرض عنه حتى ينسيه أو يتناساه؛ لأنّه لا يريد الخضوع لأحد، بل يريد التغلّب على نفسه وما تهواه كي يكون مستعدّاً لمعارضة الآخرين من بني نوعه.

وأطوي على الخُمص الحوايا كما انطوت　　　خُيــوطةُ مــارِيٍّ تُغــار وتُفتــلُ[۱]

(المصدر نفسه، ص ۷)

لا يدَع الشاعر مجالاً للجوع فيشدُّ أمعائه عليه ويطويها، كما يطوي الفاتل خيوطاً ويحكم برمها، وبصبره عليه يسدّ باب الهوان على نفسه كي لا يتحكّم عليه أمر تافه مثل الجوع ويذلّه.

واضح أنّ الشنفرى أحسَّ في غريزته الغامضة أنّ الحرية والتمرّد لا يتحققان حتى يتحرر المرء من مقتضيات الغريزة، يضائل من شأنها حتى القدر الأخير فكأنها غير موجودة يؤديها كغرض تافه إلى جنب حياته وعلى هامشها وإنما غايته أن يتفكك من قيود الوجود.

وأغـدو علـى القُـوت الزَّهيـد كمـا غـدا　　　أزَلُّ تهــاداه التَّنــائفُ أطحَــلُ

(البستاني، ۱٤۲۳هـ، ص ۷)

فهو قنوع بالقليل صابر عليه لأسباب قد سبق ذكرها.

شـكا وشـكت ثُـمّ ارعوى بعدُ وارعوت　　　ولَلــصَّبرُ إن لم ينفــع الــشّكوُ أجمَــلُ[۲]

(المصدر نفسه، ص ۸)

يصف الذئابَ في جوعهم وصبرهم على الجوع عندما لا ينفع التشكّي. كأنّ الشاعر يرى نفسه واحداً من الذئاب باحثاً عن الطعام ليسدَّ به الجوع، لكن عندما خاب ظنُّه ولم يجد شيئاً للأكل تمسَّك بالصَّبر ورآه أجمل حلّ لمشكلته.

وفــاءَ وفــاءَت بــادراتٍ وكُلّهــا　　　علــى نَكَــظٍ ممّــا يُكــاتِم مُجمِــلُ[۳]

(المصدر نفسه، ص ۹)

---

۱. الخُمص: ضمور البطن. الخَمص: الجوع. ماريّ: اسم فاتل الخيوط.

۲. ارعوى: كفّ.

۳. فاء: رجع. النكظ: الشدّة والجوع. المُجمل: الصابر.

Archive of SID

www.SID.ir

بعدما فشلت الذئاب في محاولتها للحصول على الطعام، رجعت بسرعة، وهي تبدي التجلد والصبر على شدّة الجوع الذي تخفيه. والبيت تأكيد لما ورد في البيت السابق.

وآلِـفُ وجـهَ الأرض عنـد افتراشـها بأهـدأَ تُنبيـه سَناسِـنُ قُحَّـلُ[١]

(المصدر نفسه، ص ٩)

يقول: تعوّدت على افتراش الأرض مستنداً إلى منكب صلب رفعه من الأرض فقار أو أضلاع يابسة. فهو لا ينام على السرير بل على الأرض الصلبة، وهذه الأحوال كلها هي من باب الرفض وعدم الاستسلام، بها يصارع القوانين الجائرة الواهية ويصارع الطبيعة بل يصارع القدر والكون، فلا يقبل بما يقبل عليه بل إنه هو الذي يأخذ منه ما يريد وبأقلّ قدر ممكن، ليظلَّ حرّاً متحرِّراً.

وأعـدلُ منحوضـاً كـأنَّ فُـصوصَهُ كعـابٌ دحاهـا لاعـبٌ فهـي مُثَّـلُ[٢]

(المصدر نفسه، ص ٩)

يصف الشاعر قلّة لحمه وشدة عظامه بقوله: إني أتّخذ ذراعي وسادة وهي قليلة اللحم، كأنّ فواصل عظامها كعاب يلعب بها اللاعب فتنتصب أمامه. كأنه يريد القول أنّ الطبيعة وكلّ شيء فيها طوع لإرادته، فهو يتحمّل الصعاب للحفاظ على حريته إذ إنّه لا يخضع لمن يسيطر عليه ويهدّد حريته، لكن فيما يبدو أنّ تحمّل الصِّعاب خاصة الجوع ليس قيمة أخلاقية إلا إذا كان وراءه هدفٌ سامٍ.

وإلـفُ همـوم مـا تـزالُ تَعـودهُ عيـاداً كحُمَّـى الرِّبـع أو هـي أثقـلُ

(البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ١٠)

يبدو أنَّ الشاعر أصبح أنيساً للهموم بصبره عليها وتحمُّله لها، فالآلام والمصائب لا تفارقه، تزوره دائماً كحمَّى الرِّبع بل هي أثقل منها. كلّما قصدته الهموم ردّها لكنها تعود إليه ثانية فتحيط به من كل جانب.

فـإمّا تـرَيني كابنـةِ الرَّمـل ضاحيـاً علـى رِقّـةٍ أحفـى ولا أتَنَعَّـلُ
فـإني لمـولى الـصَّبر أجتـابُ بَـزَّه على مثـل قلـب الـسِّمع والحـزمَ أنعَـلُ[٣]

(المصدر نفسه، ص ١٠)

يرفع الشاعر قدر نفسه في الصَّبر فهو مولى الصبر لا أحد يسبقه فيه، فيقول: إن رأيتني كحيَّة أبرز للحرّ والبرد على رقَّة حالٍ، وأنا حافي القدمين؛ فأنا مع ذلك ملازم للصبر ألبس ثوبه على قلب شجاع كقلب السمع، وحذائي الحزم.

يبدو أنَّه يصف تحملّه للجوع وقلَّة لحمه وصبره على الهموم ليبلِّغنا غير مباشر أنَّه ملازم للصبر يتمسّك به كي لا يظهر ضعفاً أمام واقعه المرّ، كأنَّه يفخر بصحبته له ويراه ميزةً تخصُّه دون غيره.

الجوع والعطش والحر والبرد تخصُّ مجتمع الصعاليك؛ لأنهم فقدوا دعم القبيلة ورعايتها، عاشوا في الصحارى دون ملجأ ولا مأوى وبما أن القبيلة محور الحياة لمن كان يعيش في تلك العصور فمن فقدها فقد ضاع عنه الكثير ولا يمكنه التعويض عما فاته بالسهولة.

والشنفرى إذ يجاهد نفسه على الجوع إنما كان يخضع بأقلِّ قدر ممكن للطبيعة، وقد كان الجوع حتماً عليه، لا قِبَلَ له بأن يمتنع عن الشعور به، ومع ذلك فهو يتناسى الجوع أو يكتفي بالقوت الزهيد ليبقى سيّد نفسه حتى إزاء الضرورات البيولوجية التي هي

---

١. السناسن: ج سنسن: حروف فقار الظهر. القحّل: ج قاحل: يابس.

٢. أعدل: اتوسد. المنحوض: القليل اللحم. الفصوص: فواصل العظام، ج الفصّ. المُثَّل: المنتصب.

٣. ابنة الرمل: الحيَّة. الضاحي: البارز للحرّ والبرد. الرقَّة: سوء العيش. البزّ: الثوب. السمع: ولد الذئب.

Archive of SID

www.SID.ir

أصل نزعة الحرية الفردية والاعتصام بكرامة الإنسان، وهكذا تمادى التمرد في نفس الشنفرى. ولعله أدرك أن الخضوع لحتمية الجوع هو الباب الذي يلج منه الهوان على الإنسان، تلك أزمة لا يعانيها المرء الفاقد الإنسانية.

ويــومٍ مــن الــشِّعرى يــذوب لُعــابه — أفاعيـــه في رمـــضائه تتملمَــــلُ
نــصبتُ لــه وجهــي ولا كِــنَّ دونــه — ولا سِـــترَ إلا الأتحمِـــيُّ المُرَعبـــلُ[١]

(البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ١١)

يقول في البيتين: رُبّ يوم من الأيام التي تطلع فيه الشعرى، وكان قد اشتدّ فيه الحرّ بحيث لا تكاد الأفاعي تستقر على رمضائه لشدّة الحرارة، كنت أنا أكشف عن وجهي لأشعة الشمس لا يسترني عنها ستر ولا وقاية إلا بُرد خلق.

يبدو أن الغرض من وراء وصف الشاعر لشدّة الحرّ ليس سرد الواقع الحسي لحياة الصعلكة فحسب وإنما يريد تبيين مدى قوّته وصبره على المكاره التي لا يتحمّلها سواه ومن أجل هذا الهدف يضخّم الحادث ويغلو في سرد الوقائع.

الحِلم والتعفُّف عن السؤال والبعد عن النميمة

ولا تزدهـــي الأجهـــالُ حِلمـــي ولا أُرى — سَـــؤولاً بأعقـــاب الأقاويـــل أُنمِـــلُ[٢]

(المصدر نفسه، ص ١٠)

و«**الحِلمُ، بالكسر: الأناةُ والعقل**» (ابن منظور، ١٩٨٨م، «حلم»).

يقول الشاعر: إنّ حلمي لا يستسلم للأهواء، ولست بنمّام يتّبع حديث الناس وينقله عنهم. فهو في هذا البيت يجمع لنفسه ثلاث خصال يفخر بها؛ الحلم، التعفّف عن سؤال الناس والبُعد عن النميمة وإثارة الفتن. وكأنّ ضد هذه الصفات كان شائعاً بين أبناء قومه، وأراد الشاعر أن يظهر مدى فضله عليهم بتجنّبه هذه الرذائل، وكأنّ الحلم أصبح خيرَ بديل من عشيرته التي فقدها وفقاً لكلام الإمام علي عليه السلام: «**الحلم عشيرةٌ**» (*نهج البلاغة*، حكمة ٤١٨).

الكرم والعقل

وفي الأرض مَنــأى للكــريم عــن الأذى — وفيهـــا لِمَـــن خـــافَ القِلـــى مُتَعَـــزَّلُ
لَعَمــرُكَ مــا بــالأرض ضــيقٌ علــى امــرئ — ســـرى راغبـــاً أو راهبـــاً وهـــو يعقـــلُ

(المصدر نفسه، ص ٥)

العقل حسام قاطع ـ كما يقول الإمام علي عليه السلام ـ فمن تسلّح به، استغنى عما دونه؛ لأنّه أغنى الغنى. وفي هذين البيتين يشيد الشاعر بالكرم والعقل وينسبهما إلى نفسه بقوله: إن الكريم والعاقل لا يبقى في مكان الهوان بل يعتزل الذين يريدون به الأذى.

الحزم

قد جاء في *لسان العرب*: «**الحَزمُ: ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثّقة. ورجل حازمٌ وحَزيمٌ من قوم حَزَمة وحُزَماء وحُزَّمٍ وأحزامٍ وحُزَّامٍ: وهو العاقل المميز ذو الحُنكَةِ**» (ابن منظور، ١٩٨٨م، «حزم»)، والشنفرى قد وصف نفسه بالحازم في هذا البيت:

١. الشعرى: كوكب يظهر في ليالي الحرّ. الرمضاء: الأرض الحارّة من وقع الشمس عليها. الكنّ: الستر. الأتحميّ: ضرب من البرود. المرعبل: الممزق.
٢. تزدهي: تستخفّ. أُنمل: أنمّ.

Archive of SID

www.SID.ir

فــإنّي لمـــولى الـــصَّبر أجتـــابُ بَـــزَّه على مثـل قلـب الـسِّمع والحـزمَ أنعَـلُ

(البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ١٠)

فهو وإن كان حافي القدمين، يحتذي الحزم، معتمداً على نفسه لا يحتاج إلى الآخرين خاصة قبيلته؛ لأنه قد تسلّح بالصبر والشجاعة والحزم.

حفظ الأسرار

هـمُ الأهـلُ لا مـستودَع الـسِّر ذائـعٌ لــديهم ولا الجــاني بمــا جــرَّ يُخــذَلُ

(المصدر نفسه، ص ٥)

ربما خلع بنوسلامان الشنفرى في جريرة اقترفها ولم يدافعوا عنه كسائر الأحرار الذين تحدروا من صلبهم؛ وعندما خُلع، أدرك أنه ليس فعلاً منهم، بل مضافٌ إليهم، وذلك هو الهوان الحقيقي بالنسبة إليه.

أثّرت هذه المعاناة في نفسه وجعلته يفضّل الوحوش على قومه لأنها لا تفشي سرّاً ولا تخذُل المذنب بما اقترف و في المصراع الثاني كأنّ الشنفرى كان يقصد من خلال تقديم الجار والمجرور المفيد للحصر وهو قوله: «بما جرّ» أن يذكّر قومه بأنّ العدل يقتضي عند جرّ الجريرة والحكم عليها أن ينظر الحاكم أو القاضي إلى الظروف والعوامل التي ساقت الجاني إلى ارتكاب الجريرة لا إلى الجريرة نفسها، أو ربما أراد أن يطالب بما كان يلائم المجتمع القبلي في العصر الجاهلي وفقاً لما كان معروفاً بينهم: «اُنصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

فحفظ الأسرار يهمُّ الشاعر إلى درجةٍ جعلت من الوحوش أهلاً له لتمسُّكها بهذه الصفة بل جعله شرطاً لاختيار أهله الجدد؛ لأنه شعر بالضيم والنكد في القيام بين قوم يذلونه ويسخّرونه ويتخلون عنه في المقام الحرج، لكنَّ الوحوش لا تؤذي مثل الإنسان ولا تغدر ولا تتآمر ولا تخذل في الموقف الحرج.

الترفّع عن صفات اللئام

ولـــستُ بمهـــيافٍ يُعـــشّي سَـــوامَه مُجَدَّعـــةً سُـــقبانُها وهـــي بُهَّـــلُ[١]

(المصدر نفسه، ص ٦)

فهو يصرّح بأنّه لا يخاف سرعة العطش كبعض الرعاة الذين يمنعون صغار الإبل عن رضع أمّاتها كي يبقى لهم من الحليب ما يشربون؛ بل إنّ صغار إبله سمينة ليست سيئة الغذاء؛ لأن الأمّات لا صرار لها.

ولا جُبَّـــإٍ أكهـــى مُـــرَبٍّ بعرسِـــه يُطالعهـــا في شـــأنه كيـــف يفعـــَلُ[٢]

(البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ٦)

ينفي الشاعر عن نفسه الجبن والبلادة وانعدام الرأي والشخصية فيعتمد على رأي زوجه ومشورتها؛ لأن ملازمة الزّوج تدلّ على الكسل والضعف والانصراف عن الكسب. فبذلك ذمّ الشاعر الجبن والبلادة وسوء الخلق كي يظهر فضله في الاتصاف بالصفات الحميدة.

١. مهياف: السريع العطش. المجدَّعة: السيّئة الغذاء. السُّقبان: ج السَقب: صغور الناقة. البُهَّل: ج باهل وباهلة: الناقة التي لا صرار على ضرعها.

٢. الجبَّأ: الجبان، الأكهى: الضعيف، الكدر الخلق الذي لا خير فيه، العرس: الزوجة.

Archive of SID

www.SID.ir

ولاخَـــرِقٍ هَيـــقٍ كـــأنّ فـــؤَادَه يَظَـلُّ بـه المُكّـاءُ يعلـو ويـسفُلُ[١]

(المصدر نفسه، ص ٦)

يقول إنني لست ضعيفاً ولا خائفاً من حدوث الأمور العظيمة كالظليم في نفوره عند حدوث أمرٍ رائع فيرجف فؤاده كأنه طائر يعلو ويسفل.

ولا خـــالِفٍ داريَّـــةٍ مُتغـــزِّلُ يـــروح ويغـــدو داهنـــاً يتكحَّـــلُ[٢]

(المصدر نفسه، ص ٦)

يحاول الشاعر إثبات نفسه ورجولته نافياً عن نفسه الكسل ومغازلة النساء والتشبُّه بهنّ في التزيُّن والتكحّل.

ولـــستُ بِعـــل شـــرُّه دون خَـــيره ألَـــفٌّ إذا مارُعتَـــه اهتـــاج أعـــزَلُ[٣]

(المصدر نفسه، ص ٧)

يقول إنني لست برجل ضعيف الجسم والهمّة، شرُّه أكثر من خيره، عاجز عن القيام بأمور الحرب والضيف، تراه إذا أفزعتَه يثور ويسرع دون أن يحمل السلاح.

ولـــستُ بِمحيـــارِ الظّـــلام إذا انتحـــت هُدى الهَوجَلِ العِسِّيف يَهماءُ هَوجَلُ[٤]

(المصدر نفسه، ص٦)

فهو لا يتحير في الظلام ؛ لأنّه ذكي لا يضلّ الطريق في الفلوات البعيدة المخيفة التي تُضلُّ رشد الرجل الأحمق ولا يخاف من المهالك.

كان الشاعر يهدف من وراء هذه الأبيات إلى إثبات وجوده وأنّه لا ينقصه شيء فلماذا طرد في حين كان قومه بحاجة إلى شخص مثله، شخص يتمتّع بالعقل والقوّة والرّجولة.

الشَّجاعة

«كانت الشجاعة وعدم المبالاة بالموت ميزة اتصف بها العرب، إما دفاعاً عن ذمار القبيلة التي ينتسبون إليها، أو ذباً عن الحريم وصوناً لهن من المهانة وذلّ السبى» (سالم، ١٩٧١م، ص٤٤٣).

وفيما يبدو أنّ الشجاعة إذا اعتُبِرَت خصلة لدفع الظّلم تصبح من القيم الأخلاقية وفي غيرها حيث يجعلها المرء وسيلة للفتك والنّهب لا تتجاوز سوى حدود التهوّر، لكنّ الحوفي يرى أنّ الشجاعة عند العرب لم تكن تهوراً كما يعتقده البعض بل ما نُسمّيه تهوراً كان هو الشجاعة في أعلى مراتبها في نظر أولئك الشجعان (ينظر: الحوفي، ١٩٦٢م، ص٣٣٥).

هناك من أبيات الشنفرى ما يدلّ على بطشه أكثر منه على شجاعته فلم نجد ضرورةً في ذكرها واكتفينا بذكر بعض الأبيات :

وإنـي كفـاني فقـدَ مـن لـيس جازيـاً بحُـــسنى ولا في قُربـــه مُتَعَلَّـــلُ

---

١. الخرق: الدهِش من الخوف أوالحياء. الهيق: الظليم: ذكر النعام. المكّاء: طائر يصوّت في الرياض.

٢. الخالف: الذي لا خير فيه. الأحمق. الداريّة: المقيم في داره لا يفارقها. المتغزّل: الذي يحادث النساء.

٣. العَلّ: ذبابة الخيل، يُستعار للرجل الصغير الجسم. الألفّ: العاجز الذي لا يقوم لحرب ولا لضيف.

٤. المحيار: المتحير. انتحت: قصدت. الهوجل: الرجل الطويل الذي فيه تسرّع وحمق. العسّيف: الآخذ على غير طريق. اليهماء: الفلاة التي لا يهتدى فيها للطريق.

Archive of SID

www.SID.ir

ثلاثــةُ أصــحابي: فــؤادٌ مــشيّع وأبــيضُ إصــليتٌ وصَــفراءُ عَيطَــلُ[1]

(البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ٦)

والمُشَيَّع: الشجاع، كأنّه في شيعة كبيرة من الناس. فهو متشرّد وحيد في الصحراء بعيد عن دعم القبيلة ورعايتها لا يرافقه سوى قلبه المقدام، سيفه وقوسه.

فــإني لمــولى الــصَّبر اجتــابُ بَــزَّه علـى مثـل قلـب الـسِّمع والحـزمَ أنعَـلُ

(المصدر نفسه، ص١٠)

قلبي شجاع كقلب السِّمع.

يبدو أنّ الشجاعة في شعر الشنفرى ليست فضيلة، إنّما هو شجاع لأنّ حياة الصعلكة تفرض عليه عدم الخوف من المهالك والخوض فيها فضلاً عن ذلك أنّ الشجاعة بغضّ النظر عن دافعها كانت زينة للعربيّ في العصر الجاهلي كما أشرنا إليه مسبقاً.

نتائج البحث

كانت للشنفرى فضائل تعود في معظمها إلى نفسه الأبية في صفائها الفطري، وليس كلّ ما قاله عن أخلاقه يرجع إلى عقدة السواد وعدم الانتماء الذي كان يعاني منه الشاعر طيلة حياته وهذا البيت خير دليل على ما قيل:

ولـولا اجتنـابُ الـذّأمِ لم يُلـفَ مَـشرَبٌ يُعــاش بــه إلا لــديَّ و مَأكــلُ

(البستاني، ١٤٢٣هـ، ص ٧)

فهو فقير ليس لضعفه، بل لأنه يكره العيب والذمّ، هذا يعني أنه يسعى وراء اكتساب الفضائل التي تنتهي إلى مدحه من ناحية المجتمع.

أمّا بشأن هذا الحديث: «علّموا أولادكم لامية العرب، فإنها تعلّمهم مكارم الأخلاق»، فلسنا في مقام يسمح لنا برفض الحديث أو تأييده، لكن من الواضح أنّ الإسلام يؤيّد الفضائل أينما كانت، فضلاً عن ذلك فإنّ النبي ﷺ لا يوصي بأمر يشوبه الغموض؛ لأنّ شهوة الفتك ببني سلامان والانتقام منهم تغلّبت على الشنفرى حتى أعلن في شعره ما كان يخفي في نفسه، فكيف يمكن للنبي ﷺ أن يوصي أمته بشعر يجمع الفضيلة والرذيلة في نفس الوقت، لكن هذا لا يعني أنّ شعر الشنفرى يخلو من القيم الأخلاقية؛ لأنه كان يهدف بشعره إلى بعث رسالة أخلاقية لقومه ليعارض قوانينهم الظالمة وإن كان في بعض فقراته يصرّح بالتهديد أو الانتقام وما ذلك إلا إرضاء لنفسه الغاضبة على مجتمعه.

❋❋❋

المصادر والمراجع

الإمام علي بن أبي طالب. (١٣٨٤هـ.ش). ***نهج البلاغة***. ترجمه محمد دشتي، قم: بارسيان.

١. ابن منظور، محمد بن مكرّم. (١٤٠٨هـ). ***لسان العرب***. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١. المتعلّل: الشيء الذي يلتهي به. أبيض إصليت: سيف صقيل أو مجرَّد. صفراء عيطل: قوس صفراء طويلة العنق متينة.

Archive of SID

www.SID.ir

٢. أحمديان، حميد. (١٣٧٦ هـ.ش). رسالة جامعية : ***القيم الأخلاقية في شعر عدد من الشعراء الجاهلية***. جامعة فردوسي بمشهد.

٣. الأصفهاني، الرّاغب. (١٤٢٤هـ). ***مفردات ألفاظ القرآن***. (ط ٣). دمشق : دار القلم.

٤. البستاني، بطرس. (د. ت). ***أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام***. بيروت : دار الجيل،

٥. البستاني، فؤاد أفرام. (١٩٨٦م). ***الروائع***. (ط١٠). بيروت : دار المشرق.

٦. ـــــــــــــــ . (١٤٢٣هـ). ***المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيخو***. (ط ٢). ٥ ج. قم : ذوي القربى (بطريقة الأوفسيت).

٧. بنت الشاطئ، عائشة. (١٩٦١م). ***قيم جديدة للأدب العربي***. مصر : دار المعارف.

٨. الحاوي، إيليّا. (١٩٨٦م). ***في النقد والأدب***. (ط ٥). بيروت : دار الكتب اللبناني.

٩. حرب، طلال. (١٩٩٣م). ***ديوان الشنفرى***. بيروت : الدار العالمية.

١٠. الحوفي، أحمد محمّد. (١٩٦٢م). ***الحياة العربية من الشعر الجاهلي***. ط٤. دمشق : دار القلم.

١١. الزيّات، أحمد حسن. (١٩٩٣م). ***تاريخ الأدب العربي***. بيروت : دار المعرفة.

١٢. زيدان، جرجي. (١٩٨٢م). ***مؤلفات جرجي زيدان الكاملة***. بيروت : دار الجيل.

١٣. سالم، عبد العزيز. (١٩٧١م). ***تاريخ العرب في العصر الجاهلي***. بيروت : دار النهضة العربية.

١٤. الشنفرى، ثابت بن أوس. (١٤١٧هـ). ***الديوان***. شرحه وحققه إميل بديع يعقوب، (ط ٢). بيروت : دار الكتاب العربي.

١٥. فرّوخ، عمر. (١٣٨٨هـ). ***العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي***. (ط ٢). بيروت : دار العلم الملايين.

١٦. الكاشاني، الفيض. (١٩٨٩م). ***الحقائق في محاسن الأخلاق***. بيروت : دار البلاغة.

١٧. الموسوي اللاري، مجتبى. (١٤١٠هـ). ***رسالة الأخلاق***. التعريب : محمد عبد المنعم الخاقاني، بيروت : دار الإسلامية.

١٨. مؤسسة البلاغ، (١٤١٣هـ). ***المفهوم الأخلاقي في الإسلام***. طهران : مطبعة "الرخ".

١٩. النراقي، محمد مهدي. (١٤٠٨هـ). ***جامع السعادات***. (ج ١). (ط ٦). بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

Archive of SID

www.SID.ir